بنات الشيطان

نثريات صفراء

حسن إسماعيل قنطار

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد

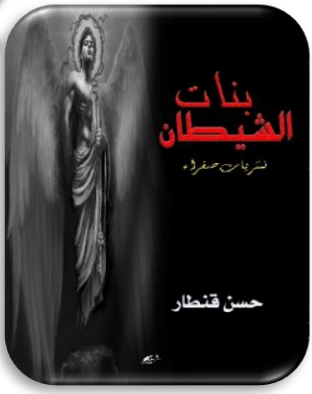

اسم العمل : بنات الشيطان

اسم المؤلف : حسن إسماعيل قنطار

الجنسية : سوريا

التصنيف الأدبي : قصائد نثرية

الترقيم الدولي : ٠ – ٥٨ - ٦٧٠٧ – ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ١٧٨٦٥ / ٢٠١٩

تدقيق لغوي : نجاح العالم السرطاوي

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : ٠٠٢٠١٢١١١٣٢٨٧٩

الإهداءُ

إلى:

- البسطاء الذين نالتهم غوايةُ الهوى، وغشاوةُ الدنيا.

- الذين قلّت حيلتهم أمام عواصفَ حرّكتْها عباءةُ الشيطانِ.

- الذين لا يجيدون قراءة الواقع بمزاجيّة الناقد المدرك لما يجري.

- إلى إبليسَ الذي استعبد القلوب، واستغوى العقول، ليعلم أن في الناس من وقف على مفاصل كيده.

****

وقفةٌ

سلالةٌ قميئةٌ من صلب صنائع الذين ركنوا إلى وساوس أنفسهم، ورعونات أحلامهم، ثمّ نسبوا ما أنجبوه إلى مكائد الشيطان، وحبائله التي اصطادهم بها عن سابق ضعفٍ يعتريهم، وخبيث مكرٍ تسلّح به ذلك اللعين.

ثمّة اصطلاحاتٌ عفنةٌ أتقنتها ثلّة همجية من الناس، ليست محصورة في فئة أو عشيرة أو قومية أو حدود.

وإن كنت قد أوجزت القراءة، ووقفت على بعضٍ من مكائد الناس، وحبستُ قلةً من بنات إبليس في سجن كلماتي، فلقد أنجب اللعين الكثيرات.

في بضع نثريات من أدب الواقع لم أكن لأغيّر حتمًا، أو أقرّر قدرًا كان قد عبّد الطريق إليه صنّاع القرار، والمتحكمون بمفارق الحياة، لكنني أستطيع أن أقول:

"لقد صرختُ بطريقتي التي أتقنتها، وأعربتُ عن نظرتي المجنونة حيال ما ركن إليه هؤلاء لإفساد الأرض والسماء".

في بضع نصوص أدعو الجميع ليشهدوا موائدَ سوداء، تقام على شرف الذين أعدموه، فيها يتغنى العهر بأفصح بيان، ويتلذّذ الغدر بنكهة الأجساد، وتسكر الخيانة في حانة الدماء.

هي وقفات مع الألم الصارخ في صمته المربوط، وحياكة لحروف خائفةٍ أحيانًا وغاضبةٍ أحيانًا أخرى تخيطها إبرة الواقع بوخزاتٍ مسمومة بعصائر الحقد.

تخيّرت أن أقرأ في بعض صفحات العابثين، وأفتش في خزائن رذيلتهم، وأقلّب العين في زوايا حاناتهم الملونة، لأجدني أمام صروح من العهر والغدر والمكر والنفاق والشقاق والخيانة، وغيرها الجمّ الكثير، شيّدته عقولٌ عبر عهود وعقود.

رفعت الستار عن عوراتهم المغرية، وكشفت عن سوءاتهم القميئة والتي تلاهث إليها الكثير من الطامعين، وبائعو الضمائر، وتجار الخيانات، في سوقهم المكتظة ببنات هواهم، وفاجرات غيّهم، ومومسات مصائدهم.

بدأتُ بكبرى حسناواتهم الجموح، وسيدة القوم برمتهم: السياسة التي شغفت القلوب بحبها، وتراكضت الحناجر تهتف بقدسية بكارتها، وما بقي في الكون عاهر إلا وضاجعها.

وأخرياتٌ من أخواتها الآبقات في الطريق للحديث عنها بقلم يقذف الحبر جمرًا غاضبًا.

سوف أترك للقارئ أن يعيش لحظات حقدي، وأيام غدري، وفصول نحسي، والسلام.

كتبه

حسن إسماعيل قنطار

في ٣٠ آذار ٢٠١٩م

تركيا. جيلان بنار

****

السياسةُ

في ذات سكرةٍ مجنونة

باض إبليس بيضةً عملاقة حتى أنهُ

صرخَ من ضيق مخرجها

متألمًا أو متلذّذًا

فارتجف لصرخته أربابُ المال

هم علموا أن شأنها لا بدّ عظيم، فأغروا أهل القوة والبطش.

جمع هؤلاء عُدةً

لخلق بيئةٍ تلائم البيضة

وعتادًا لحماية البيضة

وحرسًا من صغار الناس، ووضعائهم وجوعاهم وشذاذهم

للذّود عن حياض البيضة.

سعِدَ إبليس فنادى محبورًا:

"طوبى لكم جنّتي، وحذارِ أن تستعيذوا من فتنتي"

سمع صيحته علماءُ، ومناطقةٌ، وخبراء.

بحث أهل العلم في ظروف حماية البيضة

ووضع أهل المنطق قواعد رعاية البيضة

وأسرف أهل الخبرة في تنقية أجواء البيضة.

طمع اللعين فضحك ملء الأرض وجزءًا من السماء

فهرع إليه جمعٌ من:

حمّال الأسفار

وعمّار الأديار

ورهبان الكنائس

وشيوخ الفتاوى والمنابر

وأبواق الشعر، ونعّاق الأدب؛

قد أغوتهم ابتسامة الدنيا

وضاجعت لذائذهم

شهوةُ المال

ونزوةُ السلطان

والجاهُ الرفيع بين العامة، وبعض الخاصة.

فقّست بيضة إبليس

فولج عنها فتاة الفتيات

وفاتنة الجميلات

وماكرة الذكيات

وذئبةٌ وديعةُ الملمس، جارحةُ المخلب، قاطعةُ الأنياب.

طبل من طبّل

وعزف المارقون

ورقص الخرّاصون

واحتفى الملوك، والقادة بعروس إبليسهم الميمون

فجمع الجموع حولها

ليعلن على الملأ قداسة اسمها،

وتسبيح وسمها

طبع خاتم اللعنة على ناصيتها

وقال:

إنها سيّدة العقول، ورائدة كلّ الفصول

أمكم .... السياسة.

****

السياسيُّ

عبدٌ ألف المضاجعة في جميع أحواله:

فإمّا أن يكون سائسًا؛

قائدًا....

فقد رغب في مضاجعة أوامر ملوكه

على أسرّة مخططاتهم العاهرة.

وإما أن يكون مسوسًا؛

دارسًا أو باحثًا أو منفّذًا

فقد أثملته مضاجعة اصطلاحاتٍ موضوعة

وتحليلاتُه المرمية في قمامة الواقع المنشود

وإنجازاتُه التي يراها ولاءً

لكنها لن تعدوَ أن تكون إلاّ عبودية الإماء

هنيئاً لك تلك الرغبة الجامحة

أيها المهووس بشبق السياسة.

الظلمُ

سلك إبليس شُعبًا

من شعاب بني (خوف بن رماد)

ورمى سبعَ حجراتٍ على رؤوس القوم

كان قد التقطها في طريقه إلى تلك الشّعاب،

سقطت أولى حجراته على رأس سيّد القبيلة ، فأقام الليل على قومه، ولم يُقعدِ النهار ضربًا وتنكيلًا وسجنًا وتقتيلاً

دون أن يستدلّ إلى فاعلها

ومارس الرغبة بالانتقام لكبريائه بعد ذلك

عن شهوةٍ اعتادها

وسجيّة طالما ارتادها

وقبيحة تنسيه قبائح الآخرين.

.....

وارتطمت الثانية برأس غنيٍّ

يملك من المال ما تنوء عن عدّه عقول الحاصين

فاتّهم الجمعَ ممن حوله بسوء فَعلتهم

وأنهم الماكرون بهيبته،

والحاسدون لجَعبته

فاحتكر مقدرات البلاد

واشترى بماله

مفاصل الأسواق،

وذمم الواصلين

فضاع حقّ العامل،

وعوت ذئاب الطمع في شعاب القبيلة.

.....

وجاءت الثالثة على رأس صاحب النّفاذ

الواصل في دوائر البَلاط

فأزعجته حجرة الحاقدين التي أيقظت في رأسه النتنة

شهوةَ الانتقام

وجهّز تقاريره العِذاب

في حقّ أولئك الأوغاد

ودخل تحت تقاريره

المئاتُ ممن رأوا نزول الحجر على قفاه

زُجّ في غياهب السجون العشراتُ

ممن سمعوا بخبرِ ضربة ذلك المأفون

ومات الباقون

تحت غرائب التعذيبِ.

.....

وكانت الرابعة في رأس

أمير العسس المصون

فخلع بردة الولاء للشعب

واقتطع لنفسه ذيلًا

من بعض حُمُر الرئاسة

وأمر بجلد المارقين حوله

بين جدّ ولعب.

.....

والخامسة شاء لها القدر

أن تقع على رأس رائد

القلم المعصوم

وصانع الأخبار في كلّ يوم

فجهّز حملة إعلامية ملأها

بالشجب

والتنديد

والطعن بأقبح العبائر لمن

هدد أمن البلاد

وسيادة الوطن

فنالت الكثيرين نغماتُه

وصنّفت الكثيرَ

حروفُه السكرى

في حانة الأوراق

بين خائنٍ ومتآمرٍ

ومهدّدٍ للأمن

القوميّ للوطن.

.....

وأما السادسة فكانت

حجرة واعية

قبّلت أحد وزراء رئيس القبيلة

من جبينه

تشكره على حُسن سَير الوزارة

وسلامة العمل فيها

فأرعد وأزبد،

وقذف شظايا غضبه

على صغار القوم

وبسطاء الدخل

وغلت مراجل الأسواق

وانكسرت ساق البنوك

وفسدت اللُّحمة

الوطنية بين الشعب.

.....

وهذه سابعة العجائب:

حجر كريم من يد

إبليس الرجيم

كان أن مرّت خلال الديار

وسلكت طريقها عبر القفار

فهرع كثير من القوم وراءها،

يتحسسون الأثر دونما إدراك

وعلقوا في زحامٍ صنعوه

وتقاتلوا على أشياءَ حدثت

من غير قاصد أو مقصود

وسالت أنهرٌ من الدماء

وثارت براكين العباد

ولنا الله

نحن الذين ضعنا

بين طواحين الأقدام

وخناجر القَتاد.

****

الظالمُ

شدّ رحاله نحو

قُلّيس أطماعه

فسلب الأموال

لتجهيز القافلة والفيل،

وجرّد الخلق من ملابسهم

لحياكة إحرامٍ يستر به

فعائلهُ العارية

وطاف حول دَيره

أشواطه السبع:

تضليلًا

تزويرًا

سلبًا

تنكيلًا

استغلالًا

تملّقًا

وكبرًا

ثم سعى بين

سوط القسوة وجبل الكبرياء

وغدا إلى جبل جهالته؛

فكان في أعلاه

وصار إلى مظانّ الرجم

فقبل إبليسَ سبعًا

ورجم الناس.

****

الخيانةُ

خرج إلينا بحلّة عصماء

وهيبة مهيبة

ووجه طلقٍ

ورجاحة عقلٍ وامضة

وسلاسة لسان مقطّرٍ عسلاً

تعلوه استقامةُ بيان

وتدور العبائر العذاب

حيث يدور.

أوكل إليه صاحبُ المال

أموالَ العامة والخاصّة.

رأّسه على هرم المصالح

والشركات

وفتح أمامه أبواباً

كانت مقفلةً في

وجه من سبقه

عبّد له الطرق كلَّها

وشقّ له في شعاب المعضلات

سبلاً كثيرة وليست بالخطيرة

ودان له التجار بالولاء

لمّا رأوا ببنات عقولهم

حُسنَ سيرته لدى صاحب المال،

وشهدت نواياهم البيضاء

على أمانة يحملها،

ونزاهة يلبسها.

.....

وذاتَ إشراقة نشيطة

والناس تغدو إلى أرزاقها،

وقد أضفت البشائر على محياهم

قُبلةَ الرضا

دخلوا إلى مصارفهم

ومتاجرهم ومحالّهم

فوجدوها خاوية المال،

معروشة الأثاث والغلال.

كانت ورقةٌ قد تكاثرت

نسخاً بعدد أماكنهم

طارت كلُّها معًا

حطّت كلّ واحدة

منها على طاولة تاجر.

في لحظة واحدة

قرأ الجميع سطرًا واحدًا

جاء فيه:

"خانكم سيدكم الذي صنعني أمام أعينكم الغافلة،
وتحت مخملية نواياكم البيضاء".

التوقيع: صناعة خائن

****

الخائنُ

الموقّع الرسميّ

عن سيده إبليس

الحاملُ للآلاف من

ملفاتِ مكائده

يطوف بها بين البلدان

يغرس في كلّ ضيعة سفيرًا له

ثمّ يوكلُ إليهم ختم برقياتٍ سوداءَ

كان قد خطّ فيها:

- خيانات دولية

- خيانات وطنية

- خيانات اجتماعية

- خيانات اقتصادية

- خيانات دينية

- خيانات عرفية

يختم السفير بالوكالة

ويجيد التوقيع بداهةً.

ترسل إلى:

- أرشيفكم الحافل بنا.

- إلينا حتى نذكر غفلتكم.

- إبليس الذي علّمناه دروسًا ليذكرنا بشرّ.

****

الجريمةُ

خنق الريح بعباءة مجده

قتل الأرض بحوافر جنده

دفن الحياة بمعاول كبره

جمّد الماء بصفير حقده

قهر الخلق بخسّة عبيده

جنّد كدر الدّنيا ومدرها

لخدمة وثبات عرشه

ثمّ صرخ في الآفاق

من كلّ جانب يخور:

.....

" أنا من تلد النساء لأجلي

أنا من تتنفس الخلائق من عبقي

أنا من تقهقهُ النيارينُ على حطبي

أنا من تجتمع الخصوم

عند عتبات حكمي"

.....

كلّ تلك الجرائم،

والعدّ حسير

كتبها التاريخ

بيراع الأحقاد

وأسال عليها الدماء

حبرًا عابسًا

لفخامتك

وقداستك

وسيادتك

وجلالتك

وسياستك

وسناك، وبهائك، وجمالك

سيّدي.... الرئيس.

****

المجرمُ

سرق ريشة القضاء

وزيّنها

وادّعى الحكمةَ

والعصمة بلسان القدر

وروّج لها

وقّع لنفسه صكّ الغفران

ثمّ باشر المهام،

كما الآتي:

- فوّض نفسه بالعمالة مع الغزاة باسم الشعب.

- واستعذب استقدام الطغاة باسم الشعب.

- وصيّر مقدرات بلاده ذهبًا بيد أربابه، باسم الشعب.

- وحكم خمسين سنةً - ما كانت إلاّ عجافًا - باسم الشعب.

- ثمّ أورث ذلك كلّه لأولاده وأحفاده، باسم الشعب.

"المجرمُ أنت يا سيادة الرئيس"

كانت كلمةً تترنّح

سكرًا أو خوفًا.

دخلت في الشهيق الأخير للزمن.

لكنها جاءت

كذلك

باسم الشعب.

****

النفاقُ

في هاجسي

صراعاتٌ تنبح وراء لقمةٍ

أزيزٌ عاصفٌ

يبعثر أوراق اللعبة.

من جديد

يعيد حياكة السراب

يتسلل ماءٌ كاذبٌ داخل

عروق الطامعين

فتستبشر أنيابهم شرَهًا

تتراقص النقودُ فوق الرؤوس

والكلّ يهزّ لها القدود

.....

في هاجسي

وفاء كلبٍ،

وحياء هرة

استكانةُ أسدٍ،

وانصياع لبوة

وأتانٌ تحمل أسفار

زوجها الحمار

وتخور أبقار الأعوام بالخير

وتصيح أرواح الفجر

وتضحك الأحلام

.....

في هاجسي

لا شيء يكسر حصون الحتم

حتى الأقلام

مات صريرها

كلالةً

نزيفًا

أو إرهاقًا

حتى الأحلام

زفرت أرواحها

وغارت دنانُ النبيذ

في وجنة الزمن

.....

في هاجسي

عرسٌ يجمع الغربان واليمام

ويُعقد القران

وتختلط الدماء والأنساب

وجيناتٌ

تتناقلها أيدي الأصلاب

وجيل اليوم يحكي

قصةَ الأعمام والأخوال

فتنام معارك الأضداد

لكنها ستبقى

رماديةً

تتأرجح بين النقيضين

وأنا لا أصاحب

أعني عقلي

لا يألف صحبة الرّماد.

.....

لم يعد في هاجسي

حياةٌ للرماد

لم أعد أطيق

أنفاس النفاق

ولا الكفّ التي تداعب

عصا حاملها

لن أنفق قبلةً هزليةً تسكتها

ولا النار التي أدانيها حذرًا

أتحسس منها دفئًا

إما أن تحرقني

أو تموت

ولا تلك الألوانَ

المتعانقة ترفًا

لقد حلّت لعنتي

على الضباب

فإما بياض ناصعٌ

منتصرٌ على السواد

وإما نموت

وفينا شرفُ الخلود.

****

المنافقُ

في الدّرك الأسفل من نارٍ

يهوي جثمان المأفون

عن وحيٍ جاءت أخبارٌ

ترسم سيرته

تحكي سريرته

تروي فعائله

بالمتواتر لاشكٌّ فيه

جاءت أخلاق المأفون

.....

أذهلني تعريف الله

أدهشني توصيف اللاهي

يتذبذب بين الأجراسِ

يتلوّى

يتلوّن دومًا

في الأعراسِ وبين الناسِ

كالمومس لا ترفع ساقًا

حتى يصفعها

حتى يسكرها

عزفٌ من همس الوسواسِ.

ويصفق في عرس الثورِ

ويزمجر في ضعف الثورِ

ويفتش عن ثورٍ آخر

يتحسّسُ أنفًا

يتجسس عينًا

يتلّمس تُربَ عقيرته

يستدرك ما فاته حينًا

في الوقت الضائع للثورِ

.....

يستسقي اللحية

يطعمُها

في زمنٍ ضلّل حالقها

ويقصّر في قول السلفِ

قد يجني الآن

ويستجدي

ثمرَ التطويل وملّته

ويهزهز آذان الفرح

ما رفرف للثورةِ علمٌ

ويراقص في أعذب صوتٍ

أنشودة نصر التصحيح

وحماة الدّار وأحذيةٌ

يضحكها

بلسانٍ لبقٍ

وفصيحِ

.....

معصومٌ يا وحي الله

محمودٌ يا قول الحقّ

أرقامًا كانوا في عدّك

أقزامًا كانوا في عهدك

خمدتْ

ماتتْ

أو حتى

غفلت جذوةُ من حولك

أما في عصر الفكرِ

معذرةً

مغفرةً

أتلمس عفوَ رحابتكم

أما في عصر الغدر

أعني اليوم

وأعني الأمس

وفي غدنا

يتضاجع أسٌّ معْ رقمٍ

يتكاثر ضربٌ في ضربِ

تتناهى قسمتهم حتى

تنثرها أرحام الأرض

لا ينفع بعد تزاوجهم

لا تخمد فوضى تكاثرهم

لا حربُ الكلّ ولا البعضِ

.....

أَقرئ يا خلّي محبتنا

لأُبيِّ

لسلولِ الغدر

قد أنجب عبدًا مرضيًا

لو قورنَ بنفاق عشيرتنا

لو قيس بميزان قبائلنا

سجدتْ جبهته شكرًا

لله وآمن عن قسرِ.

****

الضياعُ

أكسر قافيتي أحيانًا

وتشتعل القصيدة من

فتيلِ تنهيدة

وتكِبُّ الحروفُ منكوسةً

من حصائد شوقها

في نارك المجنونة.

كان أن حُشرت كلها

في صعيد تعلّقها

ثمّ سيقت زُمَرًا لتعبر

الصراط الذي ضُرب

على كتفي غوايتك.

كنتُ أخالها تجأر

ملء الحشر رعبًا،

هائمة تبحث عن حبل نجاة

لكنّ الهضاب تلوّت باهتزازٍ رتيبٍ

ومدّت رؤوسها النبيذية الملتهبة

فزاد منسوب الفتنة

على مؤشر الرغبة المضطرب

وارتمت قبل سُكرها،

وضاعت بين

ثغرٍ قاطرٍ،

ووادٍ غير ذي زرع،

وهرمين تداعبهما

أصابع السحاب

إنها مصائد الحبّ

.....

أضمّ قافيتي أحيانًا أخرى

وتشتعل القصيدة أيضًا

ولكنها هذه المرة

بنارٍ تتنفس ألسنتها النعاس

تمشي حرارة منها في داخلي

هدوءًا لذيذًا

وهي تعانق الدماء

يتنفسها الوجدُ

عبر دبيب النمل الحافي

فوق رمالك الدافئة

وتلتصق الحروف بالرمال

رغبةً قسريةً غير واعية

وترتمي منكوسةً أيضًا

ولكن هذه المرة

على سفوح الهضاب،

تهمّ بالتسلّق إلى ذراها الحمراء

بطيئًا كان ذلك التسلق

لكنها وصلت،

وواصلت تداعب كؤوس النبيذ

بشهقةٍ جامحة،

وزفرةٍ كأنها البركان

أخذها التسكّع في الذرى

إلى تيهٍ رحيب

وابتلع الحروفَ ذلك التيه

زمنًا عربد بها حتى

أفاقت على رشف رضابٍ

عذبِ المذاق

من هذا الغدير الذي

أمطرها جموحًا مستعِرًا

وتهوي القصيدة برمّتها

في جحيمٍ آخر

لكنّه جحيمٌ يُنسي

آلام العذاب

إنها مكائد الحبّ

.....

أفتح تلك القافيةَ

مرةً ثالثة

عندها تشتعل القصيدة

مرةً ثالثة

من غير أن تجدَ حرارة الراغب

فلا تسترعي أعين الحروف

ولا تستدعي آذان القصيد

لحظةٌ تشبه

هديلَ ريشةٍ

وتقترب من

أنامل شمسٍ

وتواسيها

نسائمُ شرقية نقية

تميلُ قدودها على أنغام

صَبا الهدوء

تنتظم حركة الحروف

وهي تعبرُ

الصراط نفسَه

إلى تنهيدةٍ وارفة

بسلام مبتسم

هنا ألحّ قلمي

باستمالة السكون

سكونٌ على رأس قافيةٍ

في جعبة كلّ بيتِ قصيد

كأنها قبلة رضا ممضيّةٌ على

أطباقٍ نابليون البرّاقة

يضعها ليشهد الناس

عرس الانتصار.

أغلق باب القصيدة

على لحنٍ وطنيٍّ لدولة الحبّ

نعم

إنّها عجائب الحبّ

****

التعصّبُ

على خلاف أعراف المطالع

أقتبس ما قاله البلخيّ الحكيم:

" الطريقُ واضحٌ، والحقُّ لائحٌ،

الداعي قد أسمع،

فما التحيّرُ إلّا من العمى".

عبّدتْ بلدية القرية

الطريق التي تُقلّ العامة إلى

مشاغلهم المبعثرة

على أطراف العمران،

أو المرميّة في أعماق المدن.

عفا الله عنها

فقد أنجزت ما بوسعها،

وارتكبت الكبائر التالية:

- أحاطتْ أرداف الطريق

بأشجار خضرٍ،

وأزهارٍ ملونة سقتها

كلّ يومٍ مرتين.

- لوّنتْ حجارة الرصيف بلونين.

- قطعتْ رأس الطريق

على بوابة الخروج

إلى شعبين.

- زرعتْ لافتة تعريفية

في مدخل القرية

بخطين مختلفين.

- نثرت على امتداد

الطريق مصابيح ضاحكة،

لكنها بضوأين مختلفين.

أشرقت الوجوه بالرضا

لساعةٍ أو ساعتين.

ثارتْ براكين النقد الحارق

الخارق المتفجر

لأكثر من عقدين،

ولم يزل الناس

يترددون في أقوالهم،

ويرتادون نوادي آرائهم،

ويتفننون في طعن

البلدية وعمالها،

واللدغ لمن ناصرها

أو سايرها.

وعارض البعض بعضًا آخر،

ونافق البعض لبعض آخر،

وقاتل البعض بعضًا آخر.

نحن يا أصدقائي

لا نجيد وحدة الصفّ

إلا عندما نحقد

أو نحسد

أو ..... نضرط.

****

ثعلبيةٌ ماكرةٌ

معك

لا يكادُ يغفو قلبٌ

وهو يتّكئ على جدارِ قلبك

معك

لا تكادُ تصحو الروح

وهي تهامس روحك

وتعانق روائح النبيذ

وتنادم أمطارَ الغدير.

معك

يعلَقُ الوقتُ في قَتادِ الآن

وتُشلُّ يدُ التاريخ

وتنعدم القوانين

وتئن الطبيعة

ويعتقلنا السكون.

معك

أغازلُ وسادةً لا تنام

ألاعب ليلاً يتأرجح على كتفيك

أعتكفُ في محرابين أسودين

وتضيع الأصابعُ

في زحمةِ التضاريس.

معك

أقبل الضحى في وجنتيك

أرشف القهوة المرسومة

في راحتيك

أتناول الصباحَ كلَّه

بين

شرفةِ الأقاحي

ونافذةِ الثلج

ثم أبدأُ يومي من جديد.

معك

أفرغ ما في جعبته،

وأسكبه برودةً راعشة

على جسدٍ يتوق إلى هزيز الثلج

كان قد أعلن الإذعان بدافع

الرغبة بالعطاء

التصديق للولاء

والتحفيز إلى الفداء

ثمّ سلّم كلّ أماناتِه

المنقولة والمأمولة

لعاشقٍ

صرّها ورحل.

****

الرّذيلةُ

أنا لا أجيدُ قولَ الحقِّ

أمامَ سلطانِ البحار

ليسَ لأنه جائرٌ

بل

لأنني ضعيفُ العَوِمِ

على شواطئ شفتيك

.....

أنا لا أجيد رياضة الاستباق

إلى الأبواب الهاربة

ليس لأنك أغلقتها

بل

لأني ضعيف العراك

على السفوح العارية

.....

أنا لا أجيد عمارة جدرانك

التي تريد أن تنقضّ

ليس لأنك منجذبة إليّ

بل

لأني ضعيف الحمل

قويّ الجموح

نزق الرغبة في هدم

جسدك المتآكل

لهفةً لاهثة

وشقوةً طاردة

.....

أنا لا أملك عينين

إلا لتدورا وراء أفلاك قدّك

أنا لا تقودني يداي إلّا

إلى انجذابة نحو كرتين

تصارعان الأزرار

أنا لا تنسكب سوائلي

إلا على كأسك التي

فتحت فمها رغبةً في السقاء

أنا

أنا

أنا سيّد كلّ عربدة

تقذفني في جحيمك

لستُ أنا من قالها

لكنّها الرذيلة في

لسان حاملها.

الغفلةُ

يا أخي عوّد نفسك

كلّ يومٍ أن تقول:

" اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك من:

الفقرِ

وغلبة الدَينِ

والذلِّ

وقهر الرّجال"

في كلّ محفلٍ

في كلّ نادٍ

في كلّ أمسيةٍ

في كلّ خطبةٍ

في كلّ مجلس عزاءٍ

في كلّ تحلية عرسٍ

يخرج على الناس

بعجرهم وبجرهم

بهيَّ الطلعة، نضرَ الإشراقة

لا يُرى عليه أثرٌ

لا لسفرٍ ولا لنصَبٍ

وعِمّةٌ حريريةٌ

تسدل ساقيها من على

رأسه حتى أسفل كتفيه

يأكل بثمنها

خمسون من جياع قريتي.

.....

يكسو جسده الحنيذَ

قميصُ (الدفة)

يستر بثمنه

خمسين من عراة قريتي.

يتأرجح على كمّيه

زرّان يضحكان كلّما أشار إلى الناس.

يتسوّر في يده اليمنى

"لأن التيمن من السنة"

ساعةٌ من أفخر ما صنعته سويسرا،

بثمنها نستطيع أن

نضبط ميزانية قريتي.

سرواله الأبيض

المشرق كنور وجهه.

جورباه المميزان
قماشًا

وجودةَ حياكة.

حذاؤه الذي يخبئه

له أحدُ عشاقه

يحلم أن يلبسه الملوك.

نظارته وما أدراك.

وماذا عن ألبسته

الخجولة (الداخلية)

مؤكّد فحدث عنها ولا حرج.

يا غافل

هلّا حدثت الناس ما يناسب

خروجك إليهم؟

أو هلّا خرجت للناس

بما يناسب حياتهم ومعاشهم؟

تبّاً لك من

غافلٍ

أو أفّاك.

اليأسُ

في داخلي وطنٌ آخرُ ممزّق

ينادمُ الأوطان في تسكعها

على أرصفة العابثين

كلما حاولتُ أن أعقد قرانه

على إبرة

تخيطُ شتاتَه

يتسللُ خلسةً إلى قشةٍ مرتجفة

يتكئُ عليها

أو يهشُّ بها على قطعان شقوته

أو يبتغي منها مآربه الخرفة

فتخونه القشةُ

وتعصي له أمرًا

.....

لا أريد أن أطلقه ثلاثاً

لكنه أرغمني على المخالعة

وعلمتُ بعد حينٍ غفلةٍ عنه

أنه مات كمدًا

لم أعلنِ الحداد عليه

لكنّ قوماً آخرين سمعوا بموته

فكبروا عليه

صلاة الغائب عن الوجود أربعًا.

****

التشرّدُ

راودتني في شقائي

قرّبتْ منها ردائي

عانقتني باعترافِ

جاذبتني باحترافِ

ثم قدّتْ من رباها

لي قميصاً من عراءِ

.....

طارحتني ليلةً

ثمْ ليلةً

ثمْ ليلةً

أين لي عدُّ الليالي

خلتُ أني بُلغةٌ

تسقي أيامًا لها

خانني عهد اللجوء

باعني ميثاق غدرٍ

حتى بتُّ كلّ يومٍ

أهدرُ اليومَ أقولْ

كلَّ دهري طارحتني

.....

عشتُ عمرًا في لظاها

عشت دهرًا في هواها

في نهاري

ظبيٌ لعوبٌ

تحت ليلي

دفءٌ رهيفٌ

بين جلدي

همسٌ لطيفٌ

يدنو منها

بردي ورعشي

يدنو مني

نملٌ ونعشي

.....

تحبو فوقي

مثل طفلٍ

ترقد الليلَ تكاغي

تسهر الليل تناغي

يسكر الليل ويغفو

يضحك الفجر ويصحو

أما عيناها فخاضت

حربها ضد الجفون

مثل حربي في بلادي

كلما ماتت تدوم

آه يا ظبية هجري

آه يا غيمة حزني

ليت أعدائي يرون

خيمة الحب الرؤوم.

****

الخوفُ

هنا....

كان يجلس أبي

تتأرجح فوق رأسه

عناكبُ جائعةٌ

تحت عريشة العنب

المترنّحة أمام البيت

كانت مخمورةً

لكنها سعيدة،

وأنا كذلك سعيد

سعيدٌ؛ لأنّ الفقر

لا زالت مخالبه تواسي

وجناتنا الشاحبة

فقرٌ

صيّر من البراعم

أشواكًا قبل بلوغها

فقرٌ

خلق فينا كلّ الأشياء

التي لا تقبل

فقرٌ

كفّن السعادة ولم

يصلِّ عليها منذ زمن

بل إن شئتَ فقل

أكثر من ذلك.

أنا لا أستطيع لأنه:

سرّي للغاية

.....

آااه.... تذكّرتُ

هناك في زاوية هرمة

يتكئُ عليها جداران

أحمقان لزريبةٍ

تحتضن دجاجتين خائنتين

وديكًت خرفًا وقوّادًا

وبقرةً صفراءَ

لا فاقعٌ لونها

ولا تسرُّ الناظرين

عجفاءُ تخورُ جوعًا

أنا أعلم

أنها تدعو علينا

أو تشتمنا

معها الحقّ في ذلك

ومعنا الحق أيضًا

لقد أنسانا الجوعُ

العابث فينا جوعَها

ها هي الآن تخور

علينا بشتائمها

وتبول أمامنا قلةَ قيمة

بالمختصر المرير،

لا شيء يُذكر أكثر؛ لأنه:

سرّي للغاية

****

إحدى بناتِهِ جمعتْ كلَّ نقيصةٍ

عادني ما عاد قيسًا

في ليالٍ نائماتْ

هاجني ما قيل همسًا

في طلولٍ آفلاتْ

شاقني ما صار رِمسًا

في زمانِ الآفلاتْ

كنتُ قد أسرفت شعرًا

في عيون الناعساتْ

كنت قد أضرمت نارًا

في قلوبِ الغافلاتْ

ليس تُثنيني بحورٌ

في ثناءٍ

أو هجاءٍ

أو رثاءٍ

أو ظباءٍ صائباتْ

.....

مرةً أضحكتُ دمعًا

مرةً أبكيتُ سُعدًا

مرةً أخرستُ نطقًا

مرةً أنطقتُ بكمًا

ما رماني القولُ يومًا

في شعابٍ تائهاتْ

فاسألوا الشعرَ ونثري

يومَ قالوا: هاتِ هاتْ

.....

أمّا هذا اليومَ أروي

قصتي كالنائحاتْ:

إنني حاورتُ كلبًا

إذ رمتني النائباتْ

إنني نابحتُ كلبًا

إذ هجتني العادياتْ

.....

قال: هَوْ هَوْ

قلتُ: هَو هَو

قال: تبًا ليس هذا

ما عنتْه الهَوهَواتْ

قلتُ: أفصحَ كلبُ إني

لا أجيدُ الهوهوات

قال: هَو هَو

أعني حبًا كن صديقًا

أعني أمنًا كن رفيقًا

أعني حرًا كن طليقًا

أعني شعبًا كن رقيقًا

أعني أرضًا، أعني عرشًا، أعني مجدًا

أنت راعٍ كلَّ هذا

احذر الوادي فإنّا

قد وجدناه سحيقًا

.....

قلت: ويلي كلّ هذا

ما حوته الهَوهواتْ

ماذا عنّي حينَ قلتُ:

هَو هَو فهاتْ

قال: كان الهوُّ منك

عكسَ هوّي يا فتاةْ

قلتُ: مهلاً ذا غلامٌ

لا تصفني بالفتاةْ

قال: فاغربْ عن نباحي

أفسدَ القومُ صباحي

لو رأيتُ الخيرَ فيكمْ

لو وجدتُ العدلَ فيكم

لو ألفتُ الحقّ فيكم

ما نبحتُ اليومَ إلّا

هَو هَو و هَو هَو

قلتُ: ماذا؟ قال: فاذهبْ

زوجتي غارتْ لأجلي

حيثُ نابحتُ الفتاةْ

.....

قلتُ: ويلي من ظروفي

إنني أفشيتُ سرّي

إنني أفسدتُ أمري

إنني أظهرتُ ذلّي

ليتني أبديتُ عذري

ليتني حاورتُ نفسي

أخرستني روحُ كلبٍ

أقنعتني النابحاتْ

سهمه قد صاب قلبًا

إنني أعلنتُ حربًا

إنني حاورتُ كلبًا.

****

خاتمةٌ

على غير سجيّتي أغلق الباب على بنات الشيطان، وأعلم أنني ما أوصدته.

وأختم رسائلي الآن قبل أن تسكرني أيامٌ قابلات، وأعلم أيضًا أنّ الكلام لا ينقضي في رحابة الآلام.

وهنا كلمةٌ لا بدّ أن تقال بعد أن أطرتها بعنوان اختارته الأيام:

زفرةٌ

يستبيحُ بكارةَ سكينتي

ويتسوّرُ جدارَ أمني

ويئدُ الحياةَ غيلةً

تحت جذوع أمجاده

وأمام عيني

.....

لم يعدْ هنالك سيارةٌ تمرّ

ترسلُ دلوَها

تنشلني

لقد دفنَ البئرَ

وعلّق جماجم العابرين

دلاءً عطشى

.....

وإذا فار تنّورٌ هناك

في خاصرة الزمن

شقّ الأخاديد

وأطعم النار حقده

وسقاها سمّه

ونادى الفيلةَ

لتهدم قداستي

.....

بالتْ عليك اللعناتُ

أيها الكون الذي

ما عرف إلا العهر

من زمن التنهيدة الأولى

ألا ليته كان إجهاضًا

أو ريحَ مغصٍ

خرجت وانتهى كلّ شيء.

****

السيرة الذاتية

حسن إسماعيل قنطار

من مواليد ١٩٧٨ .

سوريا .حماة

عضو اتحاد الكتاب السوريين الأحرار
عضو ملتقى الأدباء والكتاب
السوريين

****

محتويات الديوان	
الإهداءُ	٣
وقفةٌ	٤
السياسةُ	٧
السياسيُّ	١١
الظلمُ	١٢
الظالمُ	١٩
الخيانةُ	٢١
الخائنُ	٢٥
الجريمةُ	٢٧
المجرمُ	٣٠
النفاقُ	٣٢
المنافقُ	٣٨

الضياعُ	٤٤
التعصّبُ	٥١
ثعلبيةٌ ماكرةٌ	٥٥
الرّذيلةُ	٥٩
الغفلةُ	٦٢
اليأسُ	٦٦
التشرّدُ	٦٨
الخوفُ	٧٢
إحدى بناتِهِ جمعتْ كلَّ نقيصةٍ	٧٦
خاتمةٌ	٨٢
السيرة الذاتية	٨٥
محتويات الديوان	٨٦

تم بحمد الله

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة للناشر